

الحلقة التاسعة والثلاثون

سلسلة سفر أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نواصل اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس. وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لاضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، ونشئت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلات الرسول بولس الثلاث في مدن تركيا واليونان آمن الكثيرون بالمسيح، رغم الاضطهادات الشديدة التي تعرض لها. وعلمنا أن اليهود قبضوا على الرسول بولس في الهيكل بأورشليم، فأتى قائد الكتيبة الرومانية وألقى القبض عليه. ثم تحدث بولس إلى اليهود عن سيرة حياته كمضطهد للمسيحيين، وكيف أصبح مسيحياً بأعجوبة. ولم يرد اليهود أن يتابعوا كلامه.

وفي اليوم التالي استدعى القائد رؤساء اليهود، فطلب بولس أن يُحاكم على أساس رجاء قيامة الأموات. فحصل الخلاف بين فرقتي الفريسيين والصدوقيين حول هذا الموضوع. ثم حاك بعض اليهود مؤامرة لقتل الرسول بولس، لكن خبر المؤامرة علم بها ابن أخت بولس، الذي أخبر القائد. فأمر القائد جنوده بأخذ بولس ليلاً إلى مدينة قيصرية، ليحاكم فيها أمام الوالي الروماني فيليكس.

وقرأ الوالي فيليكس الرسالة التي أرسلها القائد ليشرح فيها عن وضع الرسول بولس، وسأل عن المقاطعة التي ينتمي بولس إليها. ولما علم أنه من كيليكية في تركيا قال له: سأنظر في قضيتك متى حضر المدعون عليك. ثم أمر فيليكس بوضع بولس تحت الحراسة في قصر الملك هيرودس. وبعد خمسة أيام حضر إلى قيصرية وفد يضم حنانيا رئيس الكهنة وبعض الشيوخ، ومحامياً اسمه ترتلس، ليقدموا الدعوى للحاكم ضد بولس. لقد سافر رؤساء اليهود مع ترتلس المحامي نحو ستة وتسعين كيلو متراً، من أورشليم إلى قيصرية مركز الإدارة الرومانية، ليقدموا إتهامات كاذبة ضد الرسول بولس، بعد أن فشلت مؤامرتهم لقتله.

« فاستدعى الحاكم بولس، وبدأ ترتلس يوجه إليه الإتهام، فقال: إن ما تمّ لنا بفضلك من سلام وافر وإصلاحات انتفع بها شعبنا بعنايتك يا سمو الحاكم فيليكس نرحب به بجملته في كل مكان، بالشكر الجزيل. ولأني لا أريد أن أطيل الكلام عليك، أرجو

أن تتلطف فتسمع عرضا موجزا لدعوانا: وجدنا هذا المتهم مخربا، يثير الفتنة بين جميع اليهود في البلاد كلها، وهو يتزعم مذهب المسيحيين. فلما حاول تدنيس هيكلنا أيضا، قبضنا عليه وأردنا أن نحاكمه بحسب شريعتنا. لكن القائد لسياس جاء وأخذه بالقوة من أيدينا. ثم أمر المدّعين عليه بالترافع أمامك. وتستطيع الآن أن تتأكد من صحة دعوانا إذا قمت باستجوابه في هذا الأمر. وأيد اليهود أعضاء الوفد ادعاء المحامي زاعمين أنه صحيح» (أعمال الرسل ٢٤: ٢-٩).

كان ترتلس خطيبا مفوها، يُدعى لتقديم وعرض قضايا رؤساء اليهود أمام الحاكم الروماني. ولقد بدأ مرافعته متملقا الحاكم محاولا استمالته، بالحديث عن السلام الجزيل والإصلاحات التي تمتع بها اليهود في عهده. ووجه المحامي ترتلس ثلاث إتهامات للرسول بولس هي: أولا أن بولس يهودي مرتد يحرض اليهود في كل العالم. ثانيا: أن بولس قائد شغب وتمرد لطائفة دينية غير معترف بها، وهو بالتالي ضد القانون الروماني. ثالثا: أن بولس قد دنّس الهيكل. وكل هذه اتهامات متعلقة بالديانة اليهودية، ولهذا أكد ترتليوس أن رؤساء اليهود أرادوا محاكمة بولس طبقا لشريعتهم. لكن تدخل القائد الروماني في أورشليم منعهم من تحقيق ذلك.

بعد أن أنتهى المحامي ترتليوس من مرافعته، طلب الحاكم فيلكس من الرسول بولس أن يقدم دفاعه. فقال: «أنا أعلم أنك تحكم في قضايا أمتنا منذ سنوات عديدة، ولذلك يسرني تقديم دفاعي عن نفسي بكل ارتياح. ويمكنك أن تتأكد أنه لم يمض على وصولي إلى أورشليم للعبادة، أكثر من اثني عشر يوما. ولم يرني أحد من اليهود مرة واحدة في الهيكل أو المجمع أجادل أحدا أو أحرّض الشعب على الفوضى. وهم لا يقدرّون أن يثبتوا إتهامهم لي أمامك الآن. ولكني أعترف أمامك بأني أعبد إله آبائي بحسب المذهب الذي يصفونه بأنه بدعة، وأؤمن بكل ما كتب في الشريعة وكتب الأنبياء، ولي بالله ما لهم من رجاء ينتظرون تحقيقه: وهو أن القيامة ستحدث للأموات، الأبرار منهم والأشرار. ولذلك أنا أيضا أدرب نفسي لكي أحيأ دائما بضمير نقي أمام الله والناس. وبعد غياب عدة سنوات عن أورشليم، رجعت إليها أحمل بعض التبرعات إلى شعبي، وأقرب تقدمات. وبينما كنت أقوم بذلك، رأيت في الهيكل بعض يهود مقاطعة آسيّا، وكنت قد تطهرت. لم أكن وقتئذ وسط أي تجمع، ولا كنت أثير الفوضى. ولو كان عندهم دليل ضدي. لكانوا حضروا أمامك وشكوني حسب الأصول. والآن، ليذكر الحاضرون هنا الذنب الذي وجدوه عليّ عندما حاكموني أمام مجلسهم، غير ما أعلنته أمامهم حين قلت: أنتم تحاكمونني اليوم بسبب إيماني بقيامة الأموات» (أعمال الرسل ٢٤: ١٠-٢١).

لقد فند الرسول بولس بدفاعه هذا، اتهامات المحامي ترتليوس ورؤساء اليهود وحججهم القوية بنداً بنداً. فبرهن أنه لم يحرّض اليهود على الشغب والفضوى. وأنه لا يوجد أي دليل لديهم أنه دنس الهيكل. لكنه أكد بأنه يعبد الله إله آبائه بحسب المذهب الذي يصفونه بأنه بدعة، وأنه يؤمن بكل ما كُتب في الشريعة وأسفار الأنبياء. وأنه ينتظر كما ينتظر معظم اليهود قيامة الأموات، ويدرب نفسه لكي يحيا بضمير نقي.

وأخبرنا سفر أعمال الرسل أن الوالي فيلكس كان يعرف بالتفصيل عن المسيحية، ولهذا بعد أن سمع دفاع الرسول بولس أرجأ إصدار الحكم. وقال للمدّعين عليه: « سأحكم في دعواكم عندما يحضر القائد لسياس» (عدد ٢٢). أي القائد الروماني الذي قبض على بولس في أورشليم. كان فيلكس حاكماً لمدة ست سنوات، ويبدو أنه سمع كثيراً عن المسيحيين. وتبين له أن المسيحيين هم جماعة مسالمة وليسوا مثييري فتن وقلقل. « ثم أمر الوالي فيلكس قائد المئة بوضع الرسول بولس تحت الحراسة على أن تكون له بعض الحرية، وأن يُسمح لأصدقائه بزيارته والقيام بخدمته.

وبعد بضعة أيام جاء فيلكس ومعه زوجته دروسلا، وكانت يهودية، فاستدعى بولس واستمع إلى حديثه عن الإيمان بالمسيح يسوع. ولما تحدث بولس عن البر وضبط النفس والدينونة الآتية ارتعب فيلكس. وقال لبولس: اذهب الآن ومتى توفّر لي الوقت استدعيك ثانية. وكان فيلكس يأمل أن يدفع له بولس بعض المال ليطلقه. فأخذ يُكثر من استدعائه والحديث معه» (أعمال ٢٤: ٢٣-٢٦).

لقد سمحت الفرصة للرسول بولس لكي يشهد للوالي فيلكس وزوجته عن المخلص المسيح وخلص الله. وكان واضحاً أن فيلكس ارتعب إذ أحسّ بالإدانة، وهو الذي كان قد تزوج بزوجة رجل آخر. إن هذا يكشف لنا أن هدف رسالة الإنجيل، بشارة الخلاص المفرحة، هو تغيير حياة البشر. وأن تجعلهم يبتعدون عن الشر والإثم، ويسلكون في طريق الخير والصلاح. فهل توجد بشارة أعظم من هذه؟

وماذا عنك مستمعي الكريم: ألا تود أن تتبدل حياتك رأساً على عقب؟ وأن تُغفر خطاياك وتبدأ حياة روحية جديدة؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح، فهو الوحيد القادر على إحداث المعجزة في حياتك.